إسلام النجاشي

والاعتماد على المصادر الإسلامية في الدراسات اللغوية والإسلامية أمل ورجاء

بقلم
اللواء الركن/ محمود شيت خطاب
عضو مجلس المجمع الفقهي الإسلامي

١٤٠٨

من منشورات المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م
مكة المكرمة

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله اما بعد :

فان كتاب اسلام النجاشي لمعالي اللواء محمود شيت خطاب عضو المجمع الفقهي برابطة العالم الاسلامي من الكتب الإسلامية المفيدة التي تعم الفائدة بها ان شاء الله . ولما لهذا الكتاب من أهمية فقد أصدر مجلس المجمع الفقهي قراره رقم (٤) في دورته السادسة عام ١٤٠٣هـ بطباعته وهذه هي الطبعة الاولى تأتي للمشاركة في كتابة بعض جوانب التاريخ الإسلامية كتابة معتمدة على المراجع الموثقة ولتكون مصدرا من مصادر الثقافة الإسلامية .

وختاما اسأل الله ان يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم .

الأمين العام

د. عبد الله عمر نصيف

المصادر لا المراجع

قرأت في العدد الخامس والخمسين للسنة الخامسة من مجلة (الفيصل) الغراء السعودية الصادر في شهر محرم الحرام من سنة ١٤٠٢هـ . الموافق لشهر تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ١٩٨١م ، مقالا بعنوان : (الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة) ، فاستمتعت بهذا المقال واستفدت منه .

وقد استغرق المقال إحدى عشرة صفحة من صفحات المجلة مع هوامشه التي استغرقت صفحة ونصف الصفحة (من الصفحة ٧١ إلى الصفحة ٨١) ، والجهد المبذول في جمع مادة المقال واضح مشكور .

ولأهمية المقال باعتباره من الدراسات الاسلامية التي تتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالدعوة إلى الاسلام ، جعلته سببا مباشرا للتعليق على الدراسات الاسلامية بعامة ، وما يتصل منها برسول الله ﷺ بخاصة ، فهذا البحث ليس خاصا بالرد على هذا المقال ، ولكن المقال استثارني للتعليق عليه ، والبحث تعليق على الدراسات الإسلامية المحدثة ، لعل فيه فائدة للقراء والدارسين في الدراسات الاسلامية . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت .

واسم النجاشي : (أَصْحَمَة) — بفتح الهمزة ، وإسكان الصاد ، وفتح الحاء والميم — وهذا الذي وقع في رواية الامام مسلم في صحيحه هو الصواب المعروف فيه ، وهكذا هو في كتب الحديث والمغازي وغيرها . ووقع في مسند ابن ابي شيبة تسمية : (صَحْمَة) — بفتح الصاد واسكان الحاء — وقال : «هكذا قال ابن فريد وإنما هو : صَمْحَة» — يعني بتقديم الميم على الحاء — وهذان هما شاذان ، والصواب : (أَصْحَمَة) بالألف . قال ابن قتيبة وغيره : «ومعناه بالعربية : عَطِيَّة» .

وقال العلماء : والنجاشي لكل من ملك الحبشة ، وأما أَصْحَمَة ، فهو اسم علم لهذا الملك الصالح الذي كان في زمن النبي ﷺ ، وأن كل

من ملك المسلمين يقال له : أمير المؤمنين ، ومن ملك الروم : قيصر ، ومن ملك الفرس : كسرى ، ومن ملك الترك : خاقان ، ومن ملك القبط : فرعون ، ومن ملك مصر : العزيز ، ومن ملك اليمن : تُبَّع ، ومن ملك حمير : القيل ـــ بفتح القاف ، وقيل : القيل أقل درجة من الملك[1] .

وأعود إلى مقال الكاتب ، فقد نقل المعلومات الواردة في مقاله عن (المراجع) الحديثة ، وكان الأحرى به أن ينقل تلك المعلومات عن (المصادر) الاسلامية المعتمدة ، لأن رسائل النبي ﷺ مستوعبة في تلك (المصادر) استيعابا كاملا ، والعود إلى المصادر أثبت وأدق ، وهو اعتراف بالفضل لذويه ، ويجنِّب الناقل عن (المصادر) الشطط التي قد تكون (المراجع) وقعت فيه بحسن نية أو بسوء قصد ، وما أكثر سوء القصد الذي ابتلي به كثير من الكتاب والمؤلفين المحدثين .

وحتى (المصادر) التي اعتمدها الكاتب في هوامشه على مقاله ، نقلها بالحرف الواحد عن احد (المراجع) . وقد بلغت هوامش المقال ستة وسبعين هامشا ، كلها منقولة عن (المراجع) بما فيها اشاراته إلى (المصادر) ، أما (المصادر) فغائبة نهائيا عن المقال .

والاقتصار على (المراجع) دون (المصادر) في الدراسات الاسلامية ، لا مسوغ له ، وبخاصة في نقل موضوع هذا المقال ، لأن كثيرا من (المراجع) اختلط في صفحاتها الحق بالباطل ، فمن الحرام علينا أن ننقل سموم الباطل إلى عقول التلاميذ والطلاب في المعاهد والمدارس والجامعات ، وإلى عقول القراء في الصحف والمجلات ، وإلى عقول السامعين والمشاهدين في أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية .

وليس معنى هذا ، أنني اريد الاقتصار على (المصادر) دون

(١) النووي ـــ شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم ٢/٣٣٧ ـــ ٣٣٨ المطبعة الكمالية بالقاهرة ١٢٨٣هـ .

(المراجع) ، فينبغي الاطلاع على (المراجع) إذا حوى المرجع على فكرة جديدة أو رأي جديد أو اكتشاف حقائق جديدة لأول مرة أما إذا كان المرجع قد نقل كل ما حواه عن المصدر ، فمن الضروري أن نعود إلى المصدر ، حتى لا نفسح المجال للتحريف أو التصحيف أو سوء الفهم أو الخطأ في النقل أو النسيان أو الدس عن قصد أو عن غير قصد .

وهذا ما وقع به كاتب المقال في اعتماده على (المراجع) دون (المصادر) ، إذ تورط في إنكار إسلام النجاشي ، دون أن يتحقق من خطأ هذا الانكار وخطورته .

ترديد الدسّ والتشكيك

وقد استوقفني في مقال الكاتب ، ما جاء في الصفحة (٧٤) من المجلة من إنكار إسلام النجاشي ، ونص ما ورد في المجلة : «بيد انه يلوح لنا ، أن القول بإسلام النجاشي مبالغة لا يمكن أن تحمل على ما أبداه النجاشي من أدب ومجاملة في استقبال السفارة النبوية . ولو أسلم النجاشي يومئذ لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ، ولكانت النصرانية قد غاضت منها ، بيد أن الاسلام لم ينتشر في الحبشة إلا بعد ذلك بعصر ، وكان انتشاره في الجهات الشرقية والجنوبية فقط» .

وصاحب المقال قد نقل هذا الكلام عن احد المراجع التي اشار اليها في هوامشه ، وقد اشار إلى المرجع الذي نقل عنه بالهامش الرقم (٣٥) من بين هوامشه ، وكان الكاتب أمينا في نقله الحرفي وفي اشارته إلى المرجع بصراحة ، وقد رجعت إلى المرجع الذي نقل عنه الكاتب واشار اليه ، فوجدت النقل حرفيا ، وبهذا شارك هذا الكاتب مؤلِّف هذا المرجع بمسئولية قبول هذا التشكيك والدس وترديده من جديد .

ولو أن الكاتب لم يوافق على هذا التشكيك والدس ، لما أقدم على

نقله حرفيا ، ولردّ عليه وفنده ، ولكنه سكت عليه وأقره .

وعدت إلى المرجع الذي نقل عنه الكاتب ما نقل ، فوجدت أن مؤلِّف ذلك المرجع نقل هذا الدس والتشكيك عن المراجع الأجنبية المعروفة بعدائها للمصادر الاسلامية المعتمدة ، والتي دأبت على التشكيك في تلك المصادر والتهوين من قيمتها العلمية والتاريخية ، في محاولاتها المستمرة أن تصرف الناس عنها ، بحجة العلم والبحث العلمي والمناقشة الموضوعية وعدم التعصب ، إلى غيرها من الشعارات التي خدعوا بها العرب والمسلمين حينا من الدهر ، ولكن هذه الشعارات بريئة منهم لأنهم بعيدون عن العلم والمناقشة الموضوعية ومتعصبون حين يتصل الأمر بالعربية لغة والاسلام دينا ، وبما يمت إلى العربية والاسلام من مصادر في العلوم والآداب واللغة والتاريخ ، حيث يجردون معاولهم للهدم والتخريب وأقلامهم للدس والتشكيك .

ونظرة سريعة على المراجع التي ألفها الأجانب عن العربية لغة والاسلام دينا ، تبرز مبلغ تعصبهم الأعمى المقيت .

والذين يدقِّقون في ثبت المراجع الأجنبية الخاصة باللغة العربية والدين الاسلامي بما فيه التاريخ الاسلامي ، منذ بدأ الأجانب بالاهتمام بالقضايا العربية والاسلامية ، منذ بزغ نور الاسلام فبدأ اهتمامهم بشكل متواضع محدود ، إلى بداية مد الاتصال بالعرب والمسلمين في الحروب الصليبية بشكل أوثق وأوسع ، إلى طغيان مد الاتصال بالعرب والمسلمين في نهاية الحروب الصليبية التي كانت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين ، حيث تكللت تلك الحروب الصليبية بالاستعمار الغربي ، إلى تخصيص دراسات عالية في الجامعات الأجنبية الغربية والشرقية للدراسات العربية والاسلامية وتسنم الأجانب كراسي تلك الدراسات في الجامعات الأجنبية ، يجد أن مؤلفي تلك المراجع من يهود اصبحوا يهودا صهاينة في هذا القرن العشرين الميلادي أو من رجال

الدين النصارى وبخاصة المبشرين منهم أو من عملاء الاستعمار العاملين في سلكه السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو العلمي أو بكلام أوضح من الجواسيس ، وهؤلاء ينفذون مخططاتهم التخريبية على العربية والاسلام عمدا وعن سبق إصرار وبأجر مادي أو معنوي أو بهما معا ، ولهم عذرهم فهم اعداء .. فما عذر العربي المسلم الذي ينقل دسهم وتشكيكهم بدون تحقيق ولا تمحيص وبغير اكتراث ، كأن لغته ودينه لا يهمانه من قريب أو بعيد .

لهذا يحرص المخلصون من العرب والمسلمين على العربية لغة القرآن الكريم والاسلام دينا ، ألا ينقل عربي مسلم ما يخص العربية والاسلام بالذات من المراجع الأجنبية إلا بعد مراجعته في المصادر الاسلامية والتأكد من صوابه نقلا وتحليلا وتعليلا واستنتاجا ، وألا ينقل من المراجع العربية إلا اذا تأكد من أن المؤلف غير متهم في دينه وعلمه ولا يعاني من داء الاستعمار الفكري ، فقد كثر النقل عن المراجع الأجنبية المريبة ونشأت ناشئة من العرب والمسلمين تأثروا بالمستشرقين لأنهم تخرجوا في جامعاتهم أو مؤلفاتهم وابتعدوا عن دينهم وتنكروا للغتهم ، فأصبحوا مستغربين في بلادهم ، يرددون ما يدسه المستشرقون في مؤلفاتهم ، فيخدمون أعداء العربية والاسلام خدمة صادقة من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون .

إسلام النجاشي في المصادر الاسلامية

ورد اسلام النجاشي في كثير من المصادر الاسلامية المعتمدة ، نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر : أسد الغابة في معرفة الصحابة[1] ، والاصابة في تمييز الصحابة[2] ، وتهذيب الأسماء

---

(١) ابن الاثير — أسد الغابة في معرفة الصحابة ٨٦/٤ طهران ١٣٣٤هـ .

(٢) ابن حجر العسقلاني — الاصابة في تمييز الصحابة ٢٤٨/١ القاهرة ١٣٢٣هـ .

واللغات[1] ، وتاريخ الرسل والملوك[2] ، والكامل في التاريخ[3] . وبالجملة فإن المصادر الاسلامية المعتمدة ، تنص على اسلام النجاشي في الحديث عن سيرة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الذي هاجر إلى الحبشة ، وعمرو بن أمية الضمري الكتاني الذي بعثه النبي ﷺ سفيرا إلى النجاشي في أرض الحبشة ، وفي الحديث عن رسل النبي ﷺ في كتب السيرة النبوية المطهرة وفي المصادر التاريخية الاسلامية المعتمدة .

واعتقد أن اعتماد المصادر الاسلامية المعتمدة التي ذكرت منها غيضا من فيض ، أولى من الاعتماد على المراجع الأجنبية ، فالطبري وابن الأثير والنووي وابن حجر العسقلاني اصدق حديثا وأعرف بالعربية والاسلام من بتلر وموﻻر وموير وميلن ودوزى ، وأفهم للعلوم العربية والاسلامية وَاخلص لها .

إن السكوت عن الذين يعتمدون المراجع الأجنبية بالدرجة الأولى ، ويعتبرون المصادر الاسلامية المعتمدة بالدرجة الثانية في اعتمادهم عليها ، لا مسوِّغ له في حال من الأحوال .

ولو اقتصر اعتماد انصاف المثقفين على المراجع الأجنبية ، لهان الخطب ، ولكن هذا الاعتماد على المراجع الأجنبية يشمل اصحاب الدراسات العليا والشهادات العالية ، وقد اصبح العلم يقاس بالشهادات ولو مع الجهل المطبق لا بالمحرومين من الشهادات ولو مع العلم الأصيل .

وأكثر هؤلاء الذين يحملون شهادات عالية دون أن يتركوا بصماتهم على اختصاصهم العلمي في كتاب أو دراسة أو بحث أو حتى في مقال ، يعرفون المراجع الأجنبية ويجهلون المصادر الاسلامية المعتمدة ،

---

(١) النووي — تهذيب الأسماء واللغات ١٤٨/١ ط/١ القاهرة بلا تاريخ .

(٢) الطبري — تاريخ الرسل والملوك ٦٥٣/٢ طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦١م .

(٣) ابن الأثير — الكامل في التاريخ ٢١٣/٢ بيروت ١٣٨٥هـ .

وقد قرأت دراسة عن عالم عربي مسلم من مؤلفي السيرة النبوية القدامى ، كتبه استاذ دكتور ورئيس قسم التاريخ في جامعة عربية اسلامية ، كل مراجعه في دراسته أجنبية ، اتهمته بالكذب والاختلاق والجهل نقلا عن الأجانب .

واستغربت أن ينقل هذا العربي المسلم هذه الافتراءات الظالمة ، فالعالم العربي المسلم أحد مؤلفي السيرة النبوية ، وهو محدث فقيه مفسر لغوي وامام من أئمة المسلمين ومن ثقاتهم علما وعملا ، فاتصلت بالاستاذ الدكتور الذي كتب الدراسة عنه ، فسألته : «ألم تطلع على كتاب : ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ؟» ، وقد ذكرت هذا الكتاب لشهرته وشهرة مؤلفه ، فما ظننت أن احدا من الطلاب والعلماء يجهله ، ولكنني صدمت صدمة عنيفة حين أجابني الاستاذ الدكتور خريج الجامعات الأجنبية في التاريخ الاسلامي !! أنه لم يسمع بهذا الكتاب !!

وقبل سنوات أجرت مجلة : اللسان العربي ، استفتاء مجمله : هل تصلح العربية الفصحى لغة للعلم ، فأجاب استاذ دكتور جامعي مجمعي : لا تصلح العربية لغة للعلم ، تماما كما يجيب اعداء العرب والمسلمين من المستشرقين والمستغربين على مثل هذا السؤال .

وصادفته في يوم من الأيام ، فسألته : «هل اطلعت على المخصص لابن سيده ؟» فأجاب بكل بساطة : «لا» .

وهكذا يتهم العربي المسلم العربية لغة القرآن الكريم ، بأنها لا تصلح لغة للعلم ، وهي اللغة الحية التى قادت العلوم قرونا طويلة ، بينما جعل اليهودي الصهيوني العبرية ، لغة تصلح للعلم ، وهي اللغة الميتة التي ما كانت في يوم من الأيام لغة علمية .

ويومها كان جوابي على استفتاء مجلة : اللسان العربي : «الضعف في العرب لا في العربية» وهذا هو الواقع المرير .

وما زرت دائرة من دوائر الحكومة ، إلا وجدت في مكتبة مدير تلك الدائرة نسخة من دائرة المعارف البريطانية .

وما سألت مديرا من مدراء تلك الدوائر الحكومية : «هل تصفحت هذا الكتاب ولو مرة واحدة في حياتك ؟» . والجواب باستمرار هو «لا» ، فلماذا ننفق اموال الدولة عبثا في مثل هذا الكتاب مع ما فيه من الدس والافتراء ، ثم لا نتصفحه ابدا ؟!

إن ثقة العرب والمسلمين في المراجع الأجنبية في غير محلها ، وأخشى أن يكون مصدر هذه الثقة الجهل الأعمى ، حتى ولو كان هذا الجاهل يتباهى بلقب : الاستاذ الدكتور ، فالعبرة ليست بالألقاب ، بل بالانتاج العلمي الهادف الرصين .

تهافت المكذبين

اعتمد الأجانب الذين كذبوا المصادر الاسلامية المعتمدة في اسلام النجاشي على دليلين ، لا بأس من مناقشتهما بايجاز شديد لاثبات تهافتهما وتفاهتهما معا .

فقد قالوا في دليلهم الأول ، المترجم حرفيا عنهم في المرجع العربي الذي نقل عنه كاتب المقال ، والترجمة واضحة لأن الكلمات عربية والاسلوب غير عربي ، والأصل الأجنبي موجود : «بيد أنه يلوح لنا أن القول باسلام النجاشي مبالغة يمكن ان تحمل على ما أبداه النجاشي من أدب ومجاملة في استقبال السفارة النبوية» .

وقد كان النجاشي مؤدبا ومجاملا حقا ، ولكن كثيرا من الملوك غير النجاشي ابدو أدبا رفيعا ومجاملات في استقبال سفراء النبي ﷺ ، فلم تذكر المصادر الاسلامية المعتمدة أنهم اسلموا لأنهم تأدبوا وجاملوا ، بل

نصت على اسلام قسم منهم ونصت على بقاء قسم منهم على دينه[١]، ولم يكن للأدب والمجاملة أي دخل في الموضوع .

وكمثال على ذلك ، فإن أدب المقوقس مع سفير النبي ﷺ ، لم يكن أقل من أدب النجاشي . وأدبه في رسالته إلى النبي ﷺ ، لم يكن أقل من أدب النجاشي ، ومجاملة المقوقس في هديته لم تكن أقل من مجاملة النجاشي إن لم تكن اكثر منها ، فقد كانت هدية المقوقس إلى النبي ﷺ عبارة عن : جاريتين مارية واختها ، وبغلة شهباء ، وحمار أشهب ، وثياب من قباطي[٢] مصر ، وعسل من عسل بنها[٣] . أما هدية النجاشي إلى النبي ﷺ فكانت عبارة عن كسوة من قميص وسراويل ، وعمامة ، وعطاف[٤] ، اسواني من قرية يقال لها : أسوان ، وهي آخر مدينة بمصر ، وخفين ساذجين[٥] .

ومن الواضح ان مجاملة المقوقس في هديته لم تكن أقل من مجاملة النجاشي ، ولكن المصادر الاسلامية المعتمدة التي نقلنا عنها تفاصيل هديتي هذين الملكين إلى النبي ﷺ ، ذكرت ان النجاشي قد اسلم ، وان المقوقس لم يسلم ، فقالوا : «كتب النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الاسلام فلم يسلم»[٦] وهذا دليل على أن أدب النجاشي ومجاملته في استقبال السفارة النبوية ، لم يكونا وحدهما وراء النص باسلام النجاشي الذي ورد في المصادر الاسلامية المعتمدة ، فقد جامل غيره من الملوك وتأدبوا ، فلم تنص تلك المصادر على اسلامهم ، بل نصت على أنهم لم يسلموا .

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري ٦٤٤/٢ ــ ٦٥٧ . وابن الأثير ٢١٠/٢ ــ ٢١٥ .

(٢) القباطي : نسيج من الكتان ، به زخارف ، اشتهرت به مصر القديمة .

(٣) ابن عبد الحكم ــ فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ص/٦٩ القاهرة ١٩٦١م .

(٤) العطاف : الرداء .

(٥) ابن حبيب البغدادي ــ المحبّر ــ تحقيق الدكتورة ايلزه ليختن شتيتر ، بيروت ١٣٦١هـ ، وانظر عن مدينة أسوان ما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموى ٢٤٨/١ ــ ٢٤٩ .

(٦) الطبري ٦٤٥/٢ .

أما دليل المراجع الأجنبية الثاني ، الذي نقله السادرون في ضلال الأجنبي من العرب والمسلمين ، فهو قولهم : «ولو أسلم النجاشي يومئذ ، لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ، ولكانت النصرانية قد غاضت منها ، بيد أن الاسلام لم ينتشر إلا بعد ذلك بعصر ..» الخ .

ولم ينتشر الاسلام في أرض الحبشة باسلام النجاشي لأسباب كثيرة ، لعل من أهمها أن حكم النجاشي كان غير مستقر في بلاده ، فقد عانى من عدة ثورات داخلية[1] ، كان المسلمون المهاجرون إلى أرض الحبشة مع النجاشي على اعدائه ، وأخبار القلاقل والاضطرابات التي عانى منها النجاشي معروفة .

كما أن سلطة رجال الدين المسيحي في بلاط الأحباش وعلى النصارى في أرض الحبشة كانت كبيرة ومؤثرة ، فكانوا دولة إلى جانب الدولة ، ومن الطبيعي أن يحسب النجاشي حساب رجال الدين المسيحي اذا ما دعا إلى الاسلام وعمل على نشره علنا ، فليس من السهل على رجال الدين المسيحي ان يخسروا سلطتهم العظيمة اذا اصبح الشعب الحبشي مسلمين ، لأنه ليس في الاسلام رجال دين بل في الاسلام علماء دين ، والفرق بين الطائفتين كبير جدا ، إذ ليس لعلماء الدين الاسلامي سلطة زمنية ، بينما سلطة رجال الدين المسيحيين بغير حدود ، والعالم في الاسلام يصبح بعلمه وعمله واخلاصه عالم دين ، بينما رجل الدين المسيحي قد يتولى مركزه بالأرث أو بالنسب أو بدعم السلطة الزمنية ، وقد يكون عالما في المسيحية وقد لا يكون .

هؤلاء رجال الدين الاحباش كانت لهم سلطة واسعة ونفوذ واسع في الحكومة وفي الشعب ، فإذا لم يحسب النجاشي حسابهم أو تحداهم في انتزاع سلطتهم وحرمانهم من نفوذهم ، وبخاصة وان للنجاشي اعداء

(١) البلاذري — أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ١/١٨٨ و٢٠٢ و٥٢٣ — ٥٢٤ .

كثيرين ، يشتد عضدهم إذا ما اصبح رجال الدين الأحباش مع اعداء النجاشي لا معه على اعدائه ، فتنقلب موازين القوى حينذاك من صالح النجاشي إلى صالح اعدائه .

ورجال الدين المسيحي «الاكليروس» قوة ذات شأن في القديم ، وحتى في العصر الحديث ، فإن الكنيسة لا تزال قوة في بولونيا ذات الحكم الشيوعي وبعد اعلان الأحكام العرفية فيها بالاضافة إلى الحكم الشيوعي المسيطر اذ ارتفع صوت الكنيسة البولونية بعد إعلان الأحكام العرفية في شهر صفر من سنة ١٤٠٢هـ المصادف شهر كانون الأول (ديسمبر) من سنة ١٩٨١م ، كما ارتفع صوت بابا روما بمناسبة بداية السنة الجديدة ، ١٩٨٢م منددا بالحكومة البولونية مؤيدا منظمة التضامن المعادية للحكم الشيوعي البولوني ومؤيدا الشعب البولوني .

فإذا كان الحكم الشيوعي بما عرف عنه من سيطرة نافذة والحاد علني يخاف سلطة الكنيسة في أواخر القرن العشرين الميلادي ، فلا لوم على النجاشي لخوفه سلطة الكنيسة في اواسط القرن السادس الميلادي ، أي بعد أربعة عشر قرنا خلت ، وكانت سلطة الكنيسة يومئذ اضعاف اضعاف سلطتها في العصر الحديث .

وحتى لو كانت امور النجاشي الداخلية رصينة وسيطرته من بلاده قائمة ، وأقدم على تجاه سلطة رجال الدين المسيحي وتحدى نفوذهم غير مكترث بالعواقب ، فانه ما دام قد اعتنق الاسلام ، فلابد ان يطبق تعاليمه السمحة التي تنص — كما جاء في الكتاب العزيز : **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾**[1] ، وقد بقي كثير من أهل الكتاب على دينهم بعد الفتح الاسلامي في البلاد الاسلامية ، كالعراق وبلاد الشام ومصر (مثلا) ولا يزالون على دينهم حتى اليوم ، لأن الحاكم المسلم لا يجبر احدا على اعتناق الاسلام كرها .

---

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة ٢ : ٢٥٦ .

وهذه الحقيقة ، حقيقة تسامح الاسلام ، لا يفهمها كما ينبغي غير المسلمين ، ولا يريدون ان يتفهموها ، فلا عجب ان يقع الأجانب في مراجعهم المريبة بهذا الخطأ الفاضح ، فهم يظنون ان الحاكم المسيحي كالحاكم المسلم ، في إكراه رعيته على اعتناق الدين الذي يعتنقه ، والواقع ان الحاكم المسيحي يكره رعيته الذين على غير دينه على اعتناق دينه قسرا ، اما الحاكم المسلم فلا يكره احدا على اعتناق الاسلام ، فالحاكم المسيحي والحاكم المسلم ليسا سواء في حرية الاعتقاد ، بل هما على طرفي نقيض .

ولقد استولى المسلمون على مقاليد الأندلس بالفتح ، فلم يجبروا احدا على اعتناق الاسلام كرها ، فلما ضعف المسلمون واشتد عصر النصارى وانتزعوا الاندلس من المسلمين ، اجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية قسرا بالاعدام والتعذيب والسجون والمعتقلات ومحاكم التفتيش الرهيبة ، كما هو مدون في المراجع الأجنبية وكما هو معروف على نطاق عالمي .

هذا هو الفرق بين الحاكم المسلم والحاكم المسيحي ، وهو ما لا يستطيع غير المسلم أن يفهمه وليس من السهل أن يتفهمه ايضا .

وليس هذا هو الفرق الوحيد الذي لا يفهمه الأجنبي غير المسلم ولا يحب أن يتفهمه ، فالاسلام لا يفهمه ولا يتفهمه غير المسلم ، وأسرار العربية لا يفهمها ولا يتفهمها غير العربي المسلم ، فيجب أن يعرف العرب المسلمون بخاصة والمسلمون بعامة هذه الحقيقة ، وينهضوا بواجبهم في تعليم الاسلام دينا والعربية لغة اساتذة لغير المسلمين لا طلابا ، ورؤساء لا أذنابا ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، والذين يتصدرون من الأجانب في الجامعات الأجنبية ، ويمنحون أعلى الشهادات في الدراسات الاسلامية والعربية العليا للطلاب العرب والمسلمين لا يستحقون مثل هذه الشهادات ولا ينالونها من علماء المسلمين ، وهؤلاء

الأجانب لا يمنحون تلك الشهادات إلا بثمن غال هو تشويه الاسلام دينا والعربية لغة وتعليم الطلاب العرب والمسلمين الدس والتشكيك في دينهم ولغتهم ، ليعودوا إلى بلادهم ومعهم وسائل الجهل والهدم والتخريب لا وسائل التعليم والبناء والتعمير .

ذلك هو مبلغ تهافت محاولة الأجانب اثبات عدم اسلام النجاشي كما جاءت في المراجع الأجنبية ، والذي تسرب بالعدوى إلى المراجع الاسلامية كما يتسرب الوباء ، وذلك هو مبلغ تفاهة تلك المحاولة ، يفضح مبلغ حقد مؤلفي تلك المراجع على الاسلام والمسلمين ، ومبلغ تعصبهم لليهودية والنصرانية وإخلاصهم للاستعمار القديم والجديد ، فيرفضون بتعصب وعصبية كل خبر لمصلحة الاسلام والمسلمين ويشككون بالمصادر الاسلامية المعتمدة ، ليصفو الجو لمراجعهم المنحازة المتحيزة غير الأمينة ، التي تضم بين دفتيها الجهل والدس والتشكيك الكثير ، والعلم والصدق والتثبت القليل : ﴿**وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين**﴾[1].

في مصادر الحديث والفقه

ولو اقتصر الأمر في تكذيب المصادر الاسلامية المعتمدة التي سبق ذكرها على جلالة قدرها ، لهان الأمر على الأقل بالنسبة للمستغربين من العرب والمسلمين الذين أعانوا الأجانب وعاونوهم في الدس والتشويه والتشكيك . ولكن إسلام النجاشي لم يقتصر على تلك المصادر وحدها ، بل شمل مصادر الحديث والفقه الاسلامي بدون استثناء .

ولا أدري هل سيبقى المستغربون في موقف المتفرج ، بعد ان وصل عبث الأجانب بأقدس مصادر المسلمين الدينية ، أم سيكون لهم موقف آخر !!

وافترض ان هؤلاء المستغربين يجهلون ان اسلام النجاشي قد اجمعت

(١٥) الآية الكريمة من سورة الزخرف ٤٣ : ٧٦ .

عليه مصادر الحديث النبوي الشريف ، وان فقهاء المسلمين في مصادر الفقه الاسلامي قد استنبطوا من اسلام النجاشي وصلاة النبي ﷺ صلاة الغائب وتكبيره في صلاته عليه اربع تكبيرات استنباطات في صلاة الجنازة اتبعها المسلمون منذ موت النجاشي حتى اليوم ، وستبقى متبعة ما بقي الدين الحنيف وبقي المسلمون . إذ لا استطيع ان اتصور ابدا ان يتقبل مسلم مهما تكن درجة تلوثه بأدران الاستعمار الفكري ، اقدام اجنبي حاقد على الاسلام والمسلمين وعلى مصادر الدين الاسلامي الموثوق بها ، يشكك في صحة ما ورد في كتب الحديث الصحيحة وكتب مذاهب الفقه الاسلامي ، فيرفض ما يرد فيها من احاديث صحيحة وأحكام فقهية مجمع عليها ، وإلا لكان هذا المسلم ليس مسلما حقا بل مسلما جغرافيا ، من أبوين مسلمين ومن عائلة اسلامية ، ومن بيئة اسلامية ، وبلاد اسلامية ، ويحمل اسما اسلاميا وجنسية اسلامية ، هذه الشكليات مظهرية في واقعها ، بدون عقيدة اسلامية سليمة ، وإيمان بتعاليم الاسلام ، وحمية على هذا الدين .

وإلى هؤلاء المستغربين من العرب المسلمين ومن المسلمين كافة ، انقل لهم ما جاء عن النجاشي في كتب الحديث والفقه الاسلامي ، على أم أن نستثير فيهم حميتهم الاسلامية ليقفوا الموقف المشرف في الدفاع عن الاسلام ، وعدم الانصياع إلى دس الأجانب وتشكيكهم بسهولة ويسر وعلى أمل ان يعودوا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

فقد جاء في كتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) : البخاري ومسلم ، في باب التكبير على الجنازة ، حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه . خرج إلى المصلى فصفّ بهم وكبر أربعا[1] .

---

(١) (أ) محمد فؤاد عبد الباقي ــ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص/١٩٣ ، الكويت ١٣٩٧هـ .
(ب) ابن حجر العسقلاني ــ فتح الباري بشرح البخاري ٣/٩٢ و٣/١٦٤ مطبعة بولاق بالقاهرة ١٣٠٠هـ .
(جـ) النووي ــ شرح الامام النووي على صحيح مسلم ٢/٣٣٧ ، المطبعة اللستلية بالقاهرة ١٢٨٣هـ .

وجاء فيه حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : «نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة ، اليوم الذي مات فيه ، فقال : «**استغفروا لأخيكم**»[1] .

وجاء فيه حديث جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ صلى على اصحمة النجاشي فكبر اربعا[2] .

وجاء في كتاب : (تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول ﷺ) ، في الفصل الثالث في صلاة الجنازة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : نعى النبي ﷺ النجاشي رحمه الله في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفهم وكبر عليه اربع تكبيرات . أخرجه الستة[3] : البخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي ، ومالك[4] وفي أخرى للشيخين البخاري ومسلم ، وللنسائي : «نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال : «**استغفروا لأخيكم**» ولم يزد[5] . وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : (كان زيد بن أرقم يكبر على جنائزنا اربعا ، وانه كبر على جنازة خمسا . فسألناه ؟ فقال : كان النبي ﷺ يكبرها) أخرجه الخمسة إلا البخاري[6] .

وجاء في كتاب : (المنتقى من اخبار المصطفى ﷺ) في : الصلاة على الغائب بالنية ، عن جابر ان النبي ﷺ صلى على اصحمة النجاشي فكبر عليه اربعا . وفي لفظ قال : «**قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش ، فهلم فصلوا عليه**» قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ١٩٣ ، وفتح الباري ١٦٠/٣ ، وشرح النووي على مسلم ٣٣٧/٢ .

(٢) اللؤلؤ والمرجان ١٩٣ ، وفتح الباري ١٦٣/٣ ، وشرح النووي على مسلم ٣٣٧/٢ .

(٣) ابن الديبع الشيباني ــ تيسير الوصول ، تحقيق محمد حامد الفقى ٣١٢/٢ ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦هـ .

(٤) تيسير الوصول ١/١ .

(٥) تيسير الوصول ٣١٢/٢ .

(٦) تيسير الوصول ٣١٢/٢ .

فصففنا ونحن صفوف ، متفق عليهما[1] ، أي رواهما : البخاري ومسلم واحمد[2] .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفَّ بهم ، وكبر عليه اربع تكبيرات ، رواه الجماعة[3] البخاري ، ومسلم ، واحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابو داود ، وابن ماجه[4] وفي لفظ : (نعى النجاشي لأصحابه ثم قال : «**استغفروا له**» ثم خرج باصحابه إلى المصلى ، ثم قام ، فصلى بهم كما يصلى على الجنازة) ، رواه احمد[5] وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال : «**إن اخاكم النجاشي قد مات ، فقوموا فصلوا عليه**» قال : (فقمنا فصففنا عليه كما نصف على الميت ، وصلينا عليه كما نصلي على الميت) ، رواه احمد والنسائي والترمذي وصححه[6] .

واحاديث نعي النبي ﷺ للنجاشي والصلاة عليه صلاة الغائب ، ودرجتها العالية من الصحة ، ادلة قاطعة على اسلام النجاشي .

ودرجة صحة قسم منها ، يكفي للدلالة عليها ، ان البخاري ومسلم في صحيحهما والامام احمد بن حنبل في مسنده ، وابا عيسى الترمذي في جامعه ، وابا عبد الرحمن النسائي في سننه ، وابا داود السجستاني في سننه ، وابن ماجه القزويني في سننه ، قد رووا تلك الأحاديث ، فلا مجال للشك أو التشكيك في صحتها وقوتها .

---

(١) ابن تيمية — المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ ، تحقيق محمد حامد الفقى ٨٢/٢ ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٠هـ .

(٢) المنتقى ٣/٢ .

(٣) المنتقى ٨٢/٢

(٤) المنتقى ٣/١ .

(٥) المنتقى ٨٢/٢ .

(٦) المنتقى ٨٢/٢ .

كما أن تعبير النبي ﷺ في قسم من هذه الأحاديث : «**استغفروا لأخيكم**» يدل على إسلام النجاشي : ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾[1] ، وتعبيره عليه الصلاة والسلام : «**قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش** ..» يدلان دلالة واضحة على اسلام النجاشي ، لا يشك في ذلك ولا يشكك به مسلم عالم .

واعود إلى مصادر الفقه الاسلامي ، فأقرأ في كتاب : (الفقه على المذاهب الأربعة) ، في بحث : شروط صلاة الجنازة : «فأما شروطها ، فمنها أن يكون الميت مسلما ، فتحرم الصلاة على الكافر لقوله تعالى : ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا**﴾[2] ...»[3] ، ومن اركان صلاة الجنازة التكبيرات ، وهي أربع بتكبيرة الاحرام»[4] .

وجاء في كتاب : (المدونة الكبرى لامام دار الهجرة الامام مالك بن أنس الأصبحي) في بحث : رفع الأيدي في التكبير على الجنازة ، قال الامام مالك : «انه ليعجبني ان يرفع يديه في التكبيرات الأربع»[5] .

وجاء في كتاب : (الأم) ، في باب الصلاة على الجنازة والتكبير فيها وما يفعل بعد كل تكبيرة : «إذا صلى الرجل على الجنازة كبر أربعا ، وتلك السنة» ، وذكر حديث ابي هريرة : «ان النبي ﷺ نعى للناس النجاشي اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات»[6] .

وجاء في كتاب : (القواعد النورانية الفقهية) في فصل الصلوات في الاحوال العارضة : «وكذلك الجنازة ، فإن اختيارهم انه يكبر عليها

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات ٤٩ : ١٠ .
(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة ٩ : ٨٤ .
(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ٢٨٠ ، مطابع الشعب بالقاهرة ـــ كتاب الشعب ، بلا تاريخ .
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ٢٧٨ .
(٥) الامام سحنون بن سعيد التنوخي ، المدونة الكبرى ١٧٦/١ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٤هـ .
(٦) الامام الشافعي ـــ كتاب الأم ٢٣٩/١ ، مطبعة بولاق بالقاهرة ١٣٢١هـ .

أربعا ، كما ثبت عن النبي ﷺ واصحابه ، انهم كانوا يفعلونه غالبا ..»[1] .

وجاء في كتاب : (الاختيار لتعليل المختار) في فصل الصلاة على الميت : «والصلاة على الجنازة أربع تكبيرات»[2] .

وجاء في كتاب : (فقه الامام الأوزاعي) في فصل أحكام الصلاة على الجنازة وتشييعها : «مذهب الامام الأوزاعي ان عدد التكبيرات للصلاة على الجنازة أربع»[3] .

وجاء في كتاب : (الدراري المضيّة شرح الدرر البهية) في فصل الصلاة على الجنازة : «واما التكبير أربعا أو خمسا فلورود الأدلة بذلك ، أما الأربع فثبت ثبوتا متواترا من طريق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم»[4] .

وجاء في كتاب : (المُحَلَّى) في مسألة التكبير على الجنازة في الصلاة عليها : «ويكبر الامام على الجنازة خمس تكبيرات لا أكثر ، فإن كبروا أربعا فحسن ، ولا أقل»[5] . كما جاء في مسألة الصلاة على الميت الغائب : «ويصلى على الميت الغائب بامام وجماعة ، فقد صلى رسول الله ﷺ على النجاشي رضي الله عنه — ومات بأرض الحبشة — وصلى معه اصحابه عليه صفوفا ، وهذا اجماع منهم لا يجوز تعديه»[6] .

وجاء في كتاب : (فقه السنة) في فصل أركان الصلاة على الميت : «التكبيرات الأربع ، لما رواه البخاري ومسلم عن جابر ، ان النبي ﷺ

---

(١) ابن تيمية — القواعد النورانية الفقهية ، تحقيق محمد حامد الفقى ٨٧ ، مطبعة السنة النبوية بالقاهرة ١٣٧٠هـ .

(٢) عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي — الاختيار لتعليل المختار ٩٤/١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ط/٢ ١٣٧٠هـ .

(٣) الامام الأوزاعي — فقه الامام الأوزاعي ، جمع الدكتور عبد الله محمد الجبوري ٣١٠/١ ، بغداد ١٣٩٧هـ .

(٤) الشوكاني — الدراري المضيّة شرح الدرر البهيّة ٢٣٠/١ ، ط/١ مطبعة الحرة بالقاهرة ١٣٣٨هـ .

(٥) ابن حزم الاندلسي — المحلّى ١٢٤/٥ ، المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٨هـ .

(٦) المحلّى ١٦٥/٥ .

صلى على النجاشي ، فكبّر أربعا ، قال الترمذي : والعمل على هذا عن اكثر أهل العلم من اصحاب النبي ﷺ وغيرهم ، يرون التكبير على الجنازة أربع تكبيرات ، وهو قول : سفيان ، ومالك ، وابن المبارك ، والشافعي ، واحمد ، واسحق»[1] .

وجاء في فصل الصلاة على الغائب من هذا الكتاب : «تجوز الصلاة على الغائب في بلد آخر ، سواء أكان البلد قريبا أم بعيدا ، فيستقبل المصلي القبلة ، وينوي الصلاة عليه ، ويكبر ويفعل مثل ما يفعل في الصلاة على الحاضر ، لما رواه الجماعة عن ابي هريرة ، أن النبي ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصفّ اصحابه ، وكبر أربع تكبيرات»[2] .

تلك هي مجمل ما ورد في قسم محدود من مصادر الفقه الاسلامي استنباطا من احاديث النبي ﷺ في صلاته صلاة الغائب على النجاشي . ولو تركت العنان لنفسي في الاقتباس من مصادر الفقه الاسلامي حول هذا الموضوع ، لبعد الشوط وطال المدى ، فقد اقتبست ما اقتبسته بشكل عفوي من كل مصدر فقهي وقع في يدي ، فتبين لي بوضوح أن مصادر الفقه الاسلامي عامرة بدون استثناء بالاستنباط من أحاديث النبي ﷺ في صلاة الغائب على النجاشي ، ومن هذا الاستنباط في شروط صلاة الغائب : «أن يكون الميت مسلما ، فتحرم الصلاة على الكافر» ، وفي التكبيرات الأربع في صلاة الجنازة ، وفي الصلاة على الغائب بامام وجماعة ، وعلى من تجوز صلاة الغائب وكيفية الصلاة عليه .

ولعل ما يمكن ملاحظته في تعبير ابن حزم الأندلسي رحمه الله ، وهو من هو علما وعملا ودينا وقوة حجة ورجاحة عقل ورصانة منطق وسلاطة

---

(١) السيد سابق — فقه السنة ٨٨/٤ ، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٧٣هـ .

(٢) فقه السنة ١١٠/٤ .

لسان ايضا — عند ذكر النجاشي ونعيه وصلاة الغائب عليه ، قال : «صلى رسول الله ﷺ على النجاشي رضي الله عنه» ، ولن يستحق مثل هذا التعبير : رضي الله عنه ، إلا المسلم الذي حسن اسلامه واحسن في عمله وكان مؤمنا عاملا مخلصا في عمله لا غبار على إيمانه وعمله واخلاصه ، وخاصة مثل ابن حزم الذي لا يسبغ هذا الوصف على أحد إلا إذا كان يستحقه استحقاقا لا مزيد عليه .

أمــل ورجـــاء

ولست اشك لحظة في أن مؤلف المرجع العربي والكاتب الذي نقل عنه ما نقله ونشره في مجلة (الفيصل) السعودية يجهلان ان اسلام النجاشي موثق في مصادر الحديث كلها ومصادر الفقه الاسلامي بدون استثناء ، وانهم ظنوا — وبعض الظن إثم — أن النص على اسلام النجاشي يقتصر على مصادر السير والتاريخ ، لأنهما لو علما بأن اسلام النجاشي لا تختلف عليه مصادر الحديث والفقه الاسلامي لما اقدما على تكذيب اسلامه ولكان لهما شأن آخر مختلفا جدا .

ولا لوم على الأجنبي غير المسلم في التشكيك باسلام النجاشي والدس على المصادر الاسلامية تحقيقا لأهدافه المعروفة المكشوفة في التشكيك والدس ، ولكنني ألوم المسلم الذي يروّج لمثل هذا التشكيك والدس ، دون أن يعود إلى المصادر الاسلامية باحثا محققا ، ليكون على بينة من الأمر ، فإذا تثبت واقتنع فإن واجب الأمانة يقضي عليه ان يحكيها بلفظها الذي رآه في مصدرها الاسلامي ، لتكون تبعة روايتها على راويها الأول وليخرج من عهدتها .

أما النقل من المراجع الأجنبية في القضايا الاسلامية ، دون الرجوع إلى المصادر الاسلامية المعتمدة ، فخطأ فاحش لا مسوغ له ، ولا عذر

لمن يفعله ، ويؤدي به إلى ما أدى به نقل المؤلف العربي المسلم والكاتب العربي المسلم عن المراجع الأجنبية من خطل شنيع .

ولا يفوتني هنا ، ان اذكر ، ان امثال قضية اسلام النجاشي تعتبر حديثا عن النبي ﷺ وانه يجب في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام تحري الصدق والصحة ، على قواعد اهل العلم بالحديث ، خروجا من تبعة قوله عليه الصلاة والسلام : **«من حدَّث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين»**[1] .

والعالم حقا هو الذي يتحرى ويتثبت فيما يقول ويكتب ، هذا هو شعار علماء السلف الصالح ، يوم كان الناس يخافون الله ، فيتحرون الصدق . أما اليوم ، بعد تنظيم الهجمة على التراث الاسلامي والمصادر الاسلامية ، واصبح هذا التراث والمصادر مطوقا من الخارج بالمستشرقين واضرابهم ، ومن الداخل بالمستغربين وأذنابهم ، فأصبح التحري والتثبت واجبا لا محيد عنه ، وبخاصة في النقل عن المراجع الأجنبية بدون استثناء ، وعن المراجع العربية الاسلامية إلا إذا كان المؤلف معروفا بالصلاح والاستقامة والالتزام بالدين الحنيف .

ويدعوني نقل المؤلف في مرجعه والكاتب في مقاله ، إلى حديث آخر يتصل بسببه ، فقد ازدحمت المكتبة العربية والاسلامية في هذا القرن بالذات ، بطائفة تختلف ألوانها والغرض منها وتتحد في الموضوع ، تلك هي الكتب التي تتناول حياة النبي ﷺ وسيرته وسيرة اصحابه وعصرهم ، على اسلوب من (الفن) أو اسلوب من رواية التاريخ ، أو لون من ألوان التربية الدينية ، فثمة عشرات من الكتب والمقالات لعشرات من الكتاب ، قد اتخذوا عصر النبوة موضوعا لحديث ذي أفانين ، يختلف باختلاف من يتناولونه ذوقا وأداء وفنا ، فمنها الكتاب

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه واحمد بن حنبل ، انظر : مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٢٩٣ .

الذي حاول كاتبه أن يجعله للتحقيق والرأي ، والكتاب الذي خرج للفن وامتاع القارىء ، والكتاب الذي هيأه مؤلفه للحوار والمسرح ، والكتاب الذي أنشىء لتصوير عبقرية ، فكانت كما تصورها الكاتب لا كما كان صاحبها .

لقد قرأت هذه الكتب جميعا ، واني لاخشى ان عدوى اعدائنا من الأدب الاوروبي الغربي والشرقي ، حين خُيّل إلى كثير من كتاب العرب والمسلمين ومؤلفيهم أننا من تاريخ عصر النبوة بآزاء مادة يستخدمونها فيما ينشئون — للفن أو للتاريخ ، أو لما يريدون غير الفن والتاريخ — كما استخدم ادباء أوروبا وامريكا ومؤلفوها الشرقيون والغربيون ، اساطير الأغريق وخرافات اليونان منذ عصر مضى .

ولكن تاريخ عصر النبوة لأعز على المسلمين وأغلى .

إن للفن حريته ، ولكنه هنا في هذه الحقبة من تاريخ الاسلام ، ينبغي أن يقيد بقيوده ، حتى لا تكون حريته سببا إلى فساد عقيدة ، أو إلى مسخ تاريخ .

وقد ابتلى العرب والمسلمون بطوفان من خريجي الجامعات الأجنبية الشرقية والغربية ، الذين ابتعثوا إلى تلك الجامعات بعد تخرجهم في المدارس الاعدادية وهم في ريعان الشباب وذروة المراهقة ، ليتعلموا في الجامعات الأجنبية اللغة العربية والتاريخ الاسلامي ، والشريعة الاسلامية !!

ولم يكن اولئك الشباب على علم بمصادر التاريخ واللغة والشريعة الاسلامية حديثا وفقها حين أوفدوا إلى الجامعات الأجنبية ، فبهرتهم المراجع الأجنبية وبهرهم الاساتذة الأجانب واكثرهم اعداء للعربية لغة والاسلام دينا ، ومراجعهم اساسا قائمة على الدس والتشكيك ، وهم لا يعطون شهاداتهم العالية إلا بعد أن يطمئنوا اطمئنانا كاملا إلى انحراف طلابهم وانهم سمموا أفكارهم وصاغوهم كما يريد الأعداء لا كما يتمنى

الأصدقاء .

ويعود طلاب الأمس ودكاترة اليوم إلى بلادهم ، وهم لا يعرفون غير المراجع الأجنبية ، ويجهلون مصادرهم العربية الاسلامية ويشكون في سلامة ما جاء فيها ويتهمونها بالتزوير ، ويطلقون عليها : الكتب الصفراء ، فإذا تولوا مراكز التعليم في الجامعات العربية والاسلامية ، بعقولهم المنحرفة وأفكارهم المسممة ومراجعهم الأجنبية المنحرفة الخبيثة ، نقلوا انحرافهم إلى طلابهم وسمموا عقولهم ، ونقلوهم من صفوف الأصدقاء والأبناء ، إلى صفوف الحاقدين والأعداء .

ولست أذيع سرا ، إذا أكدت ان ثمن منح الشهادات العالية للطلاب العرب والمسلمين من بعض الاساتذة الأجانب ، هو الانتماء لبعض المبادىء الهدامة كالماسونية التي هي جزء لا يتجزأ من الصهيونية ، لأن من أهم أهدافها اعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى في القدس الشريف مسرى النبي ﷺ أول القبلتين وثالث الحرمين ، وثمنها ايضا انحراف رسالة الطالب انحرافا يؤدي به إلى الكفر أحيانا ، فلا عجب ان نجد اكثر رسائل طلابنا بقيت سرا من الأسرار لم تنشر ولم يطلع عليها أحد من المسلمين منذ كتبت ونوقشت ومنح عليها صاحبها الشهادة العالية حتى اليوم .

لذلك اتمنى على العربي المسلم ، وأرجو من المسئولين عن الإيفاد للخارج ، ألا يبعثوا احدا إلى الجامعات الأجنبية من خريجي المدارس الاعدادية أولا ، ولا يبعثوا للتخصص في الدراسات الاسلامية والعربية ثانيا ، لأن الاساتذة الأجانب هناك لا يفهمون القضايا الاسلامية والعربية كما ينبغي ، ولا يعلّمون طلابهم إلا الجهل والدس والتشكيك والانحراف .

وإذا كنا بحاجة إلى الأجانب في الدراسات العلمية الصرفة والتطبيقية العليا ، فلسنا بحاجة إلى الأجانب في الدراسات الاسلامية واللغوية ، بل

إن الأجانب بحاجة إلى العرب والمسلمين في هذه الدراسات .

وقد عرفنا قسما من اساتذة الدراسات العليا الاسلامية والعربية من الأجانب في الجامعات الأجنبية ، فوجدنا اكثرهم يحسنون الدس والتشكيك والافتراء ، ولا يحسنون فهم الاسلام دينا والعربية لغة ، وهؤلاء الذين يمنحون أعلى الشهادات العلمية للطلاب العرب والمسلمين ، لا يستطيعون الحصول على الشهادة الابتدائية في الاسلام أو العربية من معلمي العرب والمسلمين .

وقد استقدم احد هؤلاء الاساتذة الأجانب من احد طلابه النجباء ليلقي ثلاث محاضرات في التفسير والمفسرين في جامعة من الجامعات العربية سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ، فأشاع في محاضراته الدس في إثارته قصة الغرانيق ، وبذر بذور التشكيك في حديثه عن الاسرائيليات في التفسير ، وسبّ باسم البحث العلمي المزيف وبطريقة مزج السم بالعسل أقدس مقدساتنا في عقر دارنا ، ونهب أموالنا على ما اقترف من آثام ، ولكنه لم يحسن قراءة آية من آيات الذكر الحكيم .

وأملي في كل عربي ومسلم ، ورجائي من المسئولين ، ألّا يكرروا مثل هذا الخطأ الشنيع ، فما يصح أن يهان أقدس مقدساتنا بأموالنا في عقر دارنا وما ينبغي ، مهما تكن الأعذار والتعلات .

ولعل من مظاهر ضعف الاساتذة العرب والمسلمين من ذوي الشهادات العالية الأجنبية في الدراسات العربية والاسلامية ، ما نلمسه من ضعف طلابنا المتخرجين في تلك الجامعات ، فأكثرهم لا يفرق بين الحلال والحرام ويفتي بغير علم ولا يحسن كتابة سطر واحد بلا خطأ علمي أو لغوي أو املائي ، وما نلمسه من تساهل أولئك الاساتذة في منح الشهادات العالية لكل من هب ودب ، ليأكلوا بشهادتهم لقمة العيش لا ليحملوا أمانة العلم ويعلموا الناس .

واشهد أنني رأيت طالبا في الدراسات العليا في داره ، ومعه استاذه

المشرف على رسالته ، ومع الاستاذ زوجه واولاده وبناته ، ورأيت الاستاذ يكتب رسالة طالبه الذي يشرف عليه ، والطالب قائم على رأسه يستحثه ويلومه ويعنّفه على تباطئه ، فلما نصبت موائد طعام الغداء تناول الطعام الاستاذ وأفراد عائلته ، وعلمت أن الاستاذ المشرف يتلقى الهدايا النقدية والعينية من الطالب ، ويطالب بها كما يطالب بها أفراد عائلته ، وهي ليست هدايا بل رشاوى دون شك .

وشهدت يوم مناقشة هذا الطالب في رسالته ، فدافع الاستاذ المشرف عن ثغراتها وعيوبها دفاعا مجيدا ، وناقش الاستاذ المشرف الرسالة التي دبجتها براعته مع زملائه ، واختلت لجنة المناقشة بضع دقائق ، ثم عادوا إلى أماكنهم ليعلنوا منح الطالب شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى .

ويومها تذكرت عالم الدين الموصلي الذي تلقى ولده الوحيد عليه العلم ثلاثين سنة ، ثم رفض منحه «الإجازة» قائلا : «أين أذهب من ربي ؟ إنه لا يستحق أن يؤجز» ، فقارنت بين أمانة العالم بالأمس وبين أمانة العالم اليوم ، فلم أملك إلا الرثاء لأمتي التي تتقدم إلى الوراء ، بينما تقفز الأمم قفزا إلى الأمام .

إني لأتمنى على الله ، وارجو من المسئولين أن يعيدوا النظر في ملاكات الجامعات وأن يبتروا كل عضو فاسد فيها ، وهم معروفون بأسمائهم وآثارهم على كل حال .

لقد تحسن التعليم كمية ولكنه ساء نوعية ، والمطلوب أن يتحسن كمية ونوعية في آن واحد ، فإن النوعية من العلماء الذين كانوا بين العرب والمسلمين قبل ثلاثين سنة لا مثيل لهم في الوقت الحاضر ، وقد تركوا فراغا بعد رحيلهم فلم يستطع غيرهم أن يسدوا هذا الفراغ .

لقد كان في مدينة الموصل قبل خمسين سنة مثلا (١٣٤٩هـ — ١٩٣٠م) ما يناهز المائة عالم من علماء الدين ، من بينهم خمسة

علماء يصلحون تولي منصب شيخ الأزهر بكل جدارة ، وكان في مدينة الموصل اكثر من عشرين مدرسة علمية في الجوامع لتعليم الدين الاسلامي واللغة العربية ، وكانت الجوامع عامرة بالخطباء والأئمة والوعاظ .

واليوم (١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م) ، أغلقت المدارس الدينية ، واقفرت الجوامع من الخطباء والأئمة والوعاظ ، ولا يوجد في الموصل من يصلح أن يكون شيخا في الأزهر لا شيخا للأزهر .

ولكن الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة قبل خمسين سنة ثلاثة بالمائة من مجموع السكان فأصبحوا اليوم ثمانين بالمائة ، وهكذا زادت الكمية وقلت النوعية ، فلابد من أن يكون في التعليم خطأ مقصود أو غير مقصود ، وأتمنى على الله ، وعلى المسئولين أن يفتِّشوا عن هذا الخطأ ويصلحوه .

إن قراءة المراجع الأجنبية في الدراسات العربية والاسلامية شيء ، والانبهار بها وتصديق كل ما فيها شيء آخر ، فليس في الدنيا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلا القرآن الكريم ، أما الكتب الأخرى ومنها المراجع الأجنبية ، فلا تخلو من اخطاء ، ولا ينبغي الانبهار بها ولا تصديق كل ما فيها من غث وسمين .

والذي اتمناه على كل عربي ومسلم يقرأ تلك المراجع الأجنبية ، وبخاصة ما يبحث في الدراسات الاسلامية واللغة العربية ، ان يعود إلى المصادر الاسلامية في اللغة والدين والتاريخ ، ويقارن بين ما جاء في المصادر الاسلامية المعتمدة وبين ما جاء في تلك المراجع الأجنبية ، ليتبين الحق من الباطل ، فيأخذ بالحق ويعتمده ، ويرفض الباطل ويتجنبه ـــ على الأقل ـــ أو يرد على تلك المراجع الأجنبية مدافعا عن الحق دافعا للباطل ، ويفضح عوراتها في الجهل والدس والتشكيك .

أما أن يأخذ كل ما يرد في المراجع الأجنبية دون تمحيص ، فهذا هو

عين الخطأ الذي لا مسوغ له ، لأن أقلام اكثر الأجانب في مؤلفاتهم غير نظيفة وتشوه الحقائق ، وبخاصة إذا كانوا من يهود أو النصارى المبشرين أو من الملوثين بأدران الاستعمار بشكل من الأشكال .

والمؤلف العربي المسلم في كتابه ، والكاتب في بحوثه ودراساته ومقالاته مؤتمن على عقول ابناء أمته العرب والمسلمين ، فما ينبغي أن يقودهم إلى الضلال والى الباطل ، ويلوث عقول القراء وقلوبهم .

والمدرس في مدرسته والاستاذ في جامعته ، مؤتمنون على عقول تلاميذهم وطلابهم ، والمفروض أن يعلموهم ما ينفع الناس ويمكث في الأرض ، لا ما يضر الناس ولا يستقيم مع الحق .

وكم أتمنى على كل كاتب ومؤلف ومدرس واستاذ ، أن يقرأ سير المؤلفين الأجانب ، ليجد أنهم في الغالب كتبوا ما كتبوا لتخريب عقول العرب والمسلمين وبيوتهم أيضا ، فدسوا وشكلوا وافتروا لمصلحة اعداء العرب والمسلمين لا لمصلحة العرب والمسلمين ، فكيف اذا يروِّج كاتب عربي مسلم ومؤلف لأفكار امثال هؤلاء المؤلفين ؟!

ذلك أمر عجيب غريب حرصت على كشفه دفاعا عن ديني ولغتي وتراث المسلمين المجيد ، فلا يجتمع الغربيون والشرقيون على محاربة دين كالاسلام ، ولا لغة كلغة القرآن الكريم ، ولا تراث كتراث المسلمين ، وطالما سمعنا الغربيين يرددون : إن يقظة المسلمين أخطر على الغرب من الشيوعية ، وطالما سمعنا الشرقيين يرددون : إن يقظة الاسلام اخطر على المعسكر الشرقي من الغرب ، فهل من الانصاف أن يوالي قسم من أبنائنا العرب والمسلمين اعداء العرب والمسلمين ، ويحققوا أهداف الأعداء التخريبية ؟!

والله أسأل أن يفيد بهذ البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .
والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله ، وعلى آله واصحابه أجمعين .

الفهرس

مطابع رابطة العالم الاسلامي ـ مكة المكرمة